كتاب الاحتضار

عبدالمجيد التركي

شعر

أيُّنا يَسْكَرُ الآن؟!!

لا أعي
كيف كنتُ أزيّف صدقَ المرايا
وكيف امتلكتُ
تعابير وجهي..
كنتَ تعلمُ
أني أخاتلُ جيبكَ،
لكن كفيَّكَ:
أدفأُ من شُعلةِ العيدِ
أسرعُ من دمعةٍ
في عيونِ الثكالى
وأنجعُ من جُرعةِ البنسلينْ.

إنَّ بي:
خوفَ سُكَّرَةٍ
لا تجيدُ السباحَةَ،
أحزانَ سُنبلةٍ في مهبِّ العصافيرِ،
أيُّ المناديلِ يا أبتِ سوفَ تكفي لتجفيفنا
فالمساءُ بأحزاننا يستضيءُ!!
ترى أي شيءٍ يبرِّرُ صيغة (نا)
غيرُ ذاتٍ تقاسَمَها النَّعشُ
والقبرُ
والاشتهاءُ
وأيدٍ مُهلِّلةٌ
تتداول "سوقَ" الجنازةِ
ترجو من الله أجرَ تزاحُمِهَا
في مُظاهرةٍ كان فيها المدى
يتفصَّدُ بالطلِّ
والأُرجُوانْ.

أنا الآن مستوحشٌ
مثلَ رأس الحسينِ،
سآوي إلى حُفرةٍ
فالجبالُ تفتشُ عن عاصِمٍ
من أزيزِ الرَّصاصِ،
سأشربُ نَخْبَ الترابِ
ويمشي الموَكَّلُ بي
تحت نعشي حزيناً كأُمِّي
يُرِدِّدُ كالناسِ
ما تقتضيهِ المصائبُ،
ينسى خميرتَه في دمي..
ثم ينسجُ لي
من محاسنِ غيري قميصاً
ويرحلُ صوبَ مواعيدهِ
ليس يكذبُ
كالأصدقاءْ.

كنتُ أرقبُ سَكْرَتَه
كارتقابِ العِشارِ لميقاتها،
كارتقابِ السجينِ
لشمسِ الخلاصِ،
أُناديه:
يا آخرَ الميِّتين أفِقْ..
أيُّنا يسْكَرُ الآنَ
يا عِنَباً عتَّقَته المشيئةُ في لحظةٍ
لا حسابَ لها في تقاويمنا

ها أنا دون شكٍّ
أفارقُ
في غمرةِ السُّكْرِ جِلْدِي
-كأنَّيَ أجنحةٌ من ضياءٍ-
وألمِحُ ظِلَّ الموَكَّلِ بي مُستريباً
يُعَقِّمُ مِشْرَطَهُ
من ذنوبي البريئاتِ،
يقطعُ بيني
وبين أصابعهِ المطمئناتِ
خيطَ الذهولْ.

لستُ أذكرُ

آخرَ مئذنةٍ كفرَّتني

وآخرَ خارطةٍ

ضيَّعتني..

كلُّ ما أبتغي الآن قبراً

أُجرِّبهُ

وأدوِّنُ فيه مقاساتِ ساقي

وخصريْ

وجُمجمتيْ

وحنينيْ،

وأملأُ جدرانَه بالقصائدِ

والذِّكرياتْ.

أجيءُ
وقد شجَّني برزخٌ
من سوادِ الأراملِ،
من خبرٍ في الجريدةِ
-يُعلنُ موتي ويَلعنُ وقتي-
أفتِّشُ عن جدَّتي في زحامِ العِظَامِ..
تذكرتُ تعويذةً للندى
من جفافِ القلوبِ،
تذكرتُ آخرَ مسودَّةٍ للوصيَّةِ:
إن عُدتَ يا ولدي من رُفاتكَ
لا تخبرِ الطيرَ
إنَّ القبورَ التي اكتَنَفَتْكَ دهاليزُها
لا تحبُّ الضَّجيجْ.

سألتُ أبي:

* هل وجدتَ بخمرتهِ

نشوةً خدَّرَتْكَ،

وجاء بِزيِّ طبيبٍ

يذيبُ التوجُّسَ

بين سرير الطوارئ والنَّعشِ؟

- لا علمَ لي،

غير أني أتيتُ

بلا نشوةٍ

وبلا رائحةْ.

علَّمتني المقابرُ
أن المدى خدعةٌ للذين يرونَ بأقدامهمْ،
أن للصمتِ رائحةً
لا تفوحُ بها الأبجديةُ،
أن القبورَ ستمخَضُنا بمشيمتها
وسنخرجُ من رحِمِها
دون زغرودةٍ
دون قابلةٍ
واحتفاءْ.

كيف أهربُ منكَ
ومن دفءِ أُمِّي!!
كيف يخرسُ صوتُ الحليبِ
وتنسى الدماءُ فصيلتَها؟
سوف ألقي عليكَ السلامَ
كأيِّ غريبٍ
يفتِّشُ عن أُلفةٍ
في زحامِ الهروبِ
الذي لا يؤدِّي،
وتلكَ الجموع
التي جمعُها
لا أحدْ.

بين سَكْرَتَيْن!!

مَنْ سيُكْمِلُ قاتي
إذا جاءَ في (شَرْغَةِ) القاتِ
يخرُمُ كَيْفِي
ويسلُبُني لذَّةَ العَرَقِ المتدفِّقِ
في ساعةٍ كان سلمانُها وسليمانُها يلثُمانِ يديْ..
يا مَلاكاً أشمُّ محيَّاهُ في بَوْدَرِ القاتِ
في نكهةِ التبغِ:
هيِّئْ لحزني مُتَّكأً
فالمسافةُ أرملةٌ
والطريقُ يتيمْ.

سأُقبّلُ كفَّيكَ
إن قلتَ لي:
كيف عبَّأتَ كُلَّ المساماتِ ثلجاً
وجمَّدتَ في جبهتي عَرَقيْ..
كيف ينْسربُ الضوءُ مِن بؤبؤِ العينِ
حتى غَدَتْ لا ترى
غيرَ رُمحٍ بكفِّكَ يفتضُّ كلَّ الأماني
ويقطُرُ بالذكرياتِ التي لستُ أعرفها..
كيف يرتبكُ الماءُ والـ(بِيبْسْ)..
تنسى المناديلُ زُرْقَتَها
وتغوصُ الجماداتُ
في مشهدٍ حافلٍ بالذهولْ؟

احتضارُ البخور

كان سِنُّ الحليبِ

إذا زعْزَعَتهُ السَّكاكِرُ

نتلو عليه تعاويذَنا في خشوعٍ

ونلقي به صوبَ شمسٍ تُقَهْقِهُ من حلمنا:

هاكِ أيتها الشمس سنَّ حمارٍ،

خذيه إلى حيثُ لا يعرفُ الحبُّ

سوسَ القلوبِ

ولا يعرفُ الوردُ زيفَ الندى،

قايضينا بسنِّ غزالٍ فإن الفناءَ يحاصرنا،

ليتني أستطيعُ الإنابة من كلِّ تفاحةٍ

أَكَلَتْ من فميْ..

ها هو الموتُ يُنذِرني باكراً

حين يخرجُ من لثغةِ السِّين منتصراً

يَتَحيَّنُ لثْغي بكلِّ الحروفْ.

على كرمي وسخاءِ يدي

كنتُ أبدو كرمَّانةٍ

فجَّرَتْ نفسَها للمناقيرِ،

لكنْ....

إذا جاءني الموتُ يمدُدُ لي كفَّه

هل سأمنحه

- مثلَ قرشِ المساكينِ -

روحي

ليبقى العُلا من نصيبِ يدي؟

ليتني كنتُ ماءً أسيلُ على كلِّ مَجْمَرةٍ

تستلذُّ احتضارَ البخورِ،

أحسُّ به الآن مختبئاً

تحت جِلدي كما البنسلينِ

يقيسُ حساسيَّتي

وارتجافي

ويشطُبُ أمنيتي في احتضانِ ابنتي

وانبطاحي على جنَّةٍ أورَقَتْ

تحتَ أقدامِ أُمِّي،

تُرى حين يصْعَقُني

هل سيتركُ ذاكرتي

لأحضِّر لي كلَّ يومٍ صديقاً

يُنادمني عن سوالفِ أحلامنا بالخلودِ،

وأشغلُ وقتي

بتطهيرِ ما اقترَفتْهُ يدايَ

من الشِّعر والأصدقاءْ.

أعودُ إلى مسقطِ الروحِ

أبحثُ عن جُزءٍ عمَّ

وعن رُبعِ ياسينَ،

عن ولدٍ

قلبُه كان أبيضَ من غير سوءٍ

يضيءُ بعينيه كُحْلُ المساجدِ،

عن رفقةٍ

غادروا قبل أن يستلذوا بسنِّ الجنونِ

ورائحةِ الليلِ حين تقضُّ وسائدَهم..

عن صبايا

رَسَمْنَ بكلِّ كراريسهنَّ ثيابَ الزفافِ

وقطَّعنَ أكمامهنَّ

ليُخفينَ فيها الحُرُوزَ

وقارورةَ العطرِ

والنَّقشَ

والخجلَ المشتهى

والأماني التي قلَبَ الموتُ أحرفَها

فاستحالت منايا

مُجلَّلةً بالسَّوادْ.

أيُّ فزَّاعةٍ تطردُ اليُتمَ عنِّي؟

من يُؤَوِّلُ رؤيايَ يا أبتِ

فالفراغُ مليءٌ بأحلامنا

كنت يوسفَنا وسليمانَنا،

ما تزالُ عصاكَ تهشُّ على ألمٍ

يتوطَّنُ كلَّ وسائدنا..

سوف آتي وقد نَخَرَ الخوفُ فاكهتي

وسأمسحُ في عتباتِ بهائكَ حزني

الذي بتُّ أحمله مثلَ خبَّازةٍ

لا طيورَ تراودَ أحلامَها....

أيُّ فزَّاعةٍ تطردُ اليُتمَ عني،

فلا كنزَ تحت الجدارِ

سوى وجعٍ ليس يُقنى..

أبي:

إن دمعي يسيلُ على ما يرامُ

وحرف القصيدة مُرٌّ كقيء المريضِ

ولكنَّ عافيةَ الموتِ

أوسعُ

من غائلاتِ الحياهْ.

كنتَ تقرأُ فاتحةً فوق جرحي

وتمسحُ بالضوءِ روحي..

أنا الآن أكثر من أيِّ وقتٍ مضى

مؤمنٌ بيديكَ،

أغثني أبي

قبل أن يأكلَ الليلُ وجهي

وخارطتي

وبقايا بياضي،

أنا رئةٌ لو أردتُ انتحاراً

لحالَتْ جبالٌ من القشِّ

بيني وبين المياهْ.

زمهرير المقابر

هل أحدِّثهم:
أن موتاً تجسَّد لي
في الطريقِ إليكَ
وصافحني،
ثم أفضى إليَّ بمكنونهِ
فرأيتُ قبوراً
ستكشفُ عن سُوقِها
وبلابلَ مشحونةً
بالبكاءْ؟!!

هربتُ

ولكن إليه....

تعثرتُ بالدمعِ والليلِ

فاخْتَلَطَتْ بارتباكي الشواهدُ،

صار الفتى امرأةً

والعجوزُ صبيّاً..

أيدرون

أني أضعتُ هويَّاتهم

واقترحتُ بأقدامي الخائفاتِ

عناوينَهم..

يا أبي:

هل ستغفرُ لي

إن تركتُكَ في زمهريرِ المقابرِ

دون غطاءْ؟!

توسَّلتُ بالصالحينَ
وأرسلتُ فاتحتي من وراءِ حجابٍ،
أتقبلُها
إن أتتكَ مُضمَّخةً
بارتجافي..
هو الموتُ يا أبتِ:
مُقمرٌ في سماءِ القصيدةِ،
مختبِئٌ بين جفني وحُلمي،
أكادُ أشمُّ حرائقَه في حشايَ
تُراني أسيغُ مرارَتَهُ..
هل سيفعلُ مثلكَ يا أبتِ
حينما كنتَ تأتي إليَّ
تلاطفني
وتخبِّئُ لي خلفَ ظهركَ
ملعقةً من شراب السُّعالْ؟

عزرائيل..

جاءنا

والمساءُ يُكحِّلُ أجفانَه بالصباحِ

كأيِّ عجوزٍ

ترى الغشَّ في وجهِ مرآتها..

يا لهذا الذي جاءَ

والشمسُ موغلةٌ في تثاؤبها

يتغرغرُ بالضوءِ

يشربُ قهوتَه من فجيعتنا

يتمدَّدُ كالسيلِ بين دهاليزنا،

من رآه يُفجِّرُ قنبلةً من مُسيلِ الدموعِ

ويحقنُ جدرانَنا بالبكاءْ؟

هو الموتُ يا أبتِ مُدمنٌ

سوف يطفئنا في منافضهِ كالسجائرِ،

كم راعَ أغنيةً

كم أسالَ روائحَه في أسرَّتنا

فنسينا خياشيمنا في أصابعهِ

وانطفأنا كشهوةِ أرملةٍ

شرَخَتها السنونْ!!

وحدهُ

يستطيعُ الدخولَ من البابِ مثل الصدى،

لا المرايا تراهُ

ولا ألقُ الشمسِ يفضحُ ذرَّاته..

كم نأى فتدلَّى

وكم بانَ بين البنينِ وأحلامهم،

من رآه يشبُّ حرائقَه

ويمدُّ خراطيمَه

ويصيبُ بفيروسهِ كلَّ نفسٍ

أتى الأمرُ في نَسْفِها،

وحدهُ كان يعرفُ قبل اكتشاف الثواني

جزيئاتها،

وحده كان أسرعَ

قبل اكتشاف الضياءِ لسرعتهِ،

كلها الأرضُ في يده قريةٌ

غرفةٌ

علبةٌ،

كل يوم يخضُّ طموحاتنا

ويعدِّل تاريخ رحلتنا في الغطاء.

خواتمُ ملغومةٌ بالبكاء

أين عتقي من النار

والماءُ مشتعلٌ في عروقي،

يكادُ سنا لهفتي

يُخرجُ الشمسَ عن طورها..

أين عتقي

وهذي الخواتمُ

ملغومةٌ

بالحنين إلى امرأةٍ

قيَّدتني خلاخلها،

بالبكاء على امرأةٍ

ليس تحوي المعاجمُ أوصافها،

إنَّ بي رغبة

في الممات على يدها

أو على رجلها....

آه يا امرأةً

كلما فكَّرتْ باغتيالي

تُقبِّلني،

كيف تقسِمني شفتاكِ

كتفاحةٍ

ما تمنَّت بحُمرتها!!

لستُ أنسى ولا أنتِ

ذات صباحٍ

أضاء لنا وحدنا:

كنتُ أشربُ والماء مبتهجٌ

في يديكِ على غير عادته

وزهور الستائرِ

تنفثُنا عطرها..

آه يا امرأةً

كلما خَدَّرتني أصابُعها

يعتريني ارتباكُ الأضاحي

ويورقُ في كريات دمي ألفُ عيد.

أترين المرايا وقد هربت من براويزها

لتُرينا اكتمالاتنا؟!

يا حبيبة رفقاً بهذي المرايا التي كاد يطمرها صدقُ أنفاسنا..

للمرايا شجونٌ

وذاكرةٌ

سوف تفقدها

حين تبقى معلَّقةً

تتلقَّتُ صوب فراغٍ ملأناه جوعاً

ورائحة

وصلاة

ودمعاً

وأغنيةً

ما تزالُ المرايا ترددها وحدها

في خشوعٍ يليق بتخمة أحزاننا..

مَنْ يُقلِّمُ أظفارها

ويُفتِّش عن نفسه في ضفائرها..

مَنْ سيملأ سرَّتها تعباً

ويجاري ارتعاشاتها

كلما علَّقَ البردُ أجراسَهُ في مفاصلها..

ها أنا ذا أعودُ وبي خيبةٌ

كمكالمةٍ لم يُردّ عليها،

أسائلُ أظمى الملاءاتِ

عن دافقٍ جفَّ في غفلةٍ من مناديل بهجتنا،

من يراني أبدِّدُ دمعي كما يفعل الوارثون بأموالهم،

كلُّ شيء

-إذا أسرفَ الناسُ فيه-

سينفدُ

إلاَّ الدموع.

جنَّة النعيم

كنتُ مُستسلماً كالبكارةِ
حين طَوَوْني
كشَرْنَقةٍ
ليصبُّوا زكامَ تقاليدهم..
يا جنانَ النعيم:
أنا ثملٌ برخيص العطورِ
التي اقترحوا بعناوينها جَنَّتي..
من رآني
ورأسي إلى القبرِ متَّجهٌ
في خشوعٍ،
ورجلايَ في حسرةٍ
تتهجَّى الطريقَ إلى البيتِ،
أبدو كبوصلةٍ
تتزاحمُ فيها الأماني،

قد انقشعَ الأفقُ

واختمرت في السحابِ المياهُ،

أرى الآن ما لا ترونَ....

أرى كلَّ بيتٍ يغادرُ سكانَه في هدوءٍ،

أرى "ظهرَ حِمْيَرَ" مُتَّكِئاً

فوقَ جمجمةٍ

ما تزالُ بآماقها دمعةٌ،

كيف تشربها

والمساء يُبَلِّلها بمناديله!!

أين كان الندى يتسكَّعُ

قبل انوجادِ الورودِ!!

أرى الطلَّ

يبحثُ عن وردةٍ

ما تقيَّأتِ المزهرياتُ أحزانَها

وأرى "نُقُماً" مُسْتَكِنّاً

يُريني نماذجَ من حزنِهِ

ويخضِّب لحيته بالرياءْ.

عجِّلوا بي
أُسلِّم نفسي إلى شُرطةِ اللهِ،
أفضي بسرِّي
لكي أستريحَ
وأنجوَ من أرقٍ
داهمتني فيوضاتُه
منذ كنتُ بجدرانِ أمي
اشتهاءً
وماءْ.

سأضاعفُ قيمةَ قبري
لكي لا أبالي بتمديدتي،
وسأدفعُ
عمَّن ينامُ إلى جانبي..
لو يشاءُ لمِلَّكتُه مرقدي
وكتبتُ اسمه
في جبين الضريحْ.

.....

* "ظهر حِمْيَرْ"، تبَّة مُطلة على صنعاء.

** "نُقُمْ"، من أشهر جبال اليمن.

ولادةٌ أخرى

لا جديدَ سوى الموتِ

يُلْبِسُ أرواحَنا بَزَّةً من بهاءِ السماءِ

وينثرُنا في حدائقه كالفَرَاشْ..

سأكتبُ عن رحلتي ذات يومٍ إليهِ،

فمن سوف يبلغُ أُمي بأني سأولدُ من غيرها

وتكونُ لها ضُرَّةٌ في حليبِ ابنها

ونداءاتهِ..

سوف تدعو على ضِرعها بالجفافِ،

على رأسها بالرَّصاصِ،

على لحمها بالذئابِ،

على دمها بالذبابِ...

وفي غمرةٍ من تحطُّمها

سوف تدعو لذاك الفتى الثانويِّ

وإن جاءَ من رحمٍ آخر بالحياهْ.

كان ذاك الفتى الثانويُّ مليئاً بأسئلةٍ

تتقافزُ في رأسه كالضفادع:

كيف يأتي الشتاءُ

وكيف إذا مرَّ يجرحُ أرجُلَنا،

كيف تسري بماءِ مساجدنا القشعريرةُ

إن شَرِبَ البردُ منها،

وكيف يُلغِّم أضلاعَنا بالسُّعالْ!!

أين منا المساءُ الذي كان يأتي بهيَّاً

-كصُورةِ جدِّي-

يُحدِّثنا عن فتىً فرَّ من قبرِهِ

-لستُ أذكرُ

أو فرَّ من مُعجمِ الموتِ-

كان يدوّنُ في صفحةِ الغيمِ

أشعارَه بمدادِ النجومِ

فيمتدُّ ملءَ مداركنا مثلَ قوسِ السماءْ..

لم يعد "قوسُ علاَّنَ" يأتي

كعادتهِ

ليباركَ خصبَ القُرى

ويشاركَ أهلَ الحصادِ أهازيجَهم،

صار أبْهَتَ من جُثَّةٍ لفظَتها المياهُ

وسامرَها قمرٌ

لا يجيدُ الرثاءْ.

تَقَمَّصْتُ طيارةً

صوبَ من حملوني بأصلابهم

قطرةً

و بأترابهنَّ

حنيناً،

لأشربَ من كأسهم زنجبيلاً

وضوءاً

وأمنيةً

سوف تبزغُ من كفني ذات حينْ.

أيُّ يومٍ ستنوي اغتيالي!!

القبورُ التي تحتوينا برفقٍ

هي الآن أجمل ما اخترعته الحياة..

أنا الآن أستهلكُ الليلَ

أشعلُ كلَّ القصائد في رئتي،

بتُّ أكتبُ للموتِ

حين عرفتُ بأن الذي سوف يأخذ أرواحنا

لا يحبُّ المديح.

كتبتُ كثيراً،

وغنَّيتُ كي أطْرِبَ الموتَ،

أجعله يقشعرّ إذا سمعَ النايَ..

كانت صباحاتُ صنعاءَ غافلةً عن مقاماتِ فيروز،

كنتُ أفتِّش عن ملكِ الموت كيما أصادقه،

كنتُ أذهبُ صوبَ المقابر

علِّي أصادفه خارجاً

وهو يغسلُ كفَّيه بعد الجريمةِ،

علِّي أشاهده وهو يشحذُ سكِّينه...

وسأسأله: أيُّ يومٍ ستنوي اغتيالي!!

أيا حضرة الموت:

رفقاً فإني أحبُّ الحياةَ،

ولم يرتوِ القلبُ بعدُ....

إذا جئتَ

فافتح لقلبي نافذةً صوبَ عبدالمجيد لأسأله:

بين هذي الثواني التي أنتَ كلُّ بقيّتها

وارتعاشاتها،

هل وجدتَ جواباً لأسئلةٍ

كنتَ تُشعلها

لتضيءَ مساءاتِ غيركَ!!

هل كنتَ تدركُ أنكَ سوف ترى الموتَ وجهاً لوجهٍ،

بكفَّين خاليتين

- سوى من خطايا القصيدة والأصدقاءِ-

وفي كفِّه قدحٌ ملأته الأساطير بالخوفِ!!

يكفي بأن تقف الآن

كي لا يراكَ ضعيفاً

ومُت واقفاً،

ربما يدركُ الآن أن الحياة التي سوف يأخذها

تستحق الخلود.

أمنيات

يقولون عيدٌ

ولا طعم للعيد

لا لون

لا رائحة..

كلها الأمنيات ثكالى

وفي كل منعطفٍ من دروب لقانا

تصادفنا نائحة..

ليت أنا نرى نبضنا في المرايا..

أقول لها:

إنني أكثر العالمين نفاقاً

وزيفاً،

تنصَّلتُ من حسناتي لديها

توسَّلتها

أنْ دعيني أُغنِّ وحيداً لعيدي،

دعيني

أرتِّل فوق ضريح مساءاتنا الفاتحة..

واحدٌ متعدِّدٌ

سأموتُ يوم الأربعاءِ
لأن معظمَ أصدقائي
لن يكونوا قادرين على المجيءِ إلى العزاءْ..

سيكون يوماً ماطراً،
ستغصُّ بالماءِ الشوارعُ والسُّطوحُ
فترتوي كلُّ الأنابيبِ التي نسِيَت وظيفتَها
وأدمَنَتِ الترابْ.

آمنتُ أني واحدٌ متعدِّدٌ،
مثَّلتُ أدواري بكلِّ نباهةٍ
ولبستُ أقنعةً
لأني شئتُ أن أبدو سوايَ..
سئمتُ تبديلَ الوجوهِ بعالمٍ أعمى
تعبتُ من الإضاءة في النهارْ.

حاولتُ أن أبقى نقياً
غير أن أصابعي مشغولةٌ بالبحثِ عن شهواتها..
أنا لستُ لصاً مثلما يوحي السياقُ
فكلُّ ما أعنيه أن أصابعي مسكونةٌ
بالبحثِ عن عسلِ الخلودِ،
أصابعي تتلمَّسُ الحُمَّى
وتكتب فوق جبهتها حروزَ الثلجِ،
كلُّ أصابعي مهووسةٌ
بتفقُّد الماءِ المخبأ في محاراتٍ
تئنُّ من الصقيع..

أرى الآن ما لا يُرى

أرى الآن أفئدة
تتدفَّقُ من حزن هذي الكمنجة،
أشياءَ لم يرها كاهنٌ
أو يلمّ بكلِّ تفاصيلها شاعرٌ
يتهجَّى قصائدَه ومواجعَه..
إنَّ هذي المواويل
كانت أنيناً تجسَّد حتى غدا غُصَّةً
تتمدَّدُ بين السماواتِ والأرضِ مثلَ الندى،
لا يراه سوى الوردِ
والصبح حين يدقُّ على كلِّ نافذةٍ قطَعَتْ ليلها
في مناجاةِ نافذةٍ أغلقَ البُعدُ أزرارَها
وطوتها المسافاتُ والليلُ والأسئلةْ.

أرى وردةً خدَشَتْ نفسها لتشمَّ شذاها..
لماذا إذا واجهتني المرايا تُريني سوايَ،
إذا كتبَتني القصائدُ في كلِّ سطر أرى وجعاً
كلما جفَّ حبري تندَّى وسالَ..
توجَّه وجهي إليكِ
ولكن قلبي له وجهةٌ ليس فيها نظرْ.

أرى الآن ما لا يُرى....

أرى الليلَ يبحثُ عن شمعةٍ تحمل الهمَّ عنه

ليدخل في حُلمٍ لا تُكدِّره الظُّلماتُ،

كأني أُجنُّ..

قد ارتفعَت حُجُبٌ جمَّةٌ مُذْ بدأتُ كتابةَ هذي الحروفِ

وصرتُ أرى سُحُباً تشربُ الماءَ،

والماءُ يحبلُ بالظمأ المستديرِ

فتورقُ في قاع بئر السراب الحصى..

يا إلهي:

توقفَ في كلِّ هذي التقاويم وقتي،

أنامُ.. وبي قلقٌ أن أنام بلا حُلمٍ،

أصبحت ساحةُ الحلمِ بيضاءَ من غير سوءٍ

سوايَ..

توشَّحت الجنيَّاتُ بأثدائها

واستعار الذي كان يسترقُ السمعَ نظارةً

كي يرى ما أرى.

(إذا فرَّقتنا المسافاتُ تجمعنا الذكريات).....

كأني قرأت العبارة أعلاه في صدر شاحنةٍ

حين كنا معاً نتقاسم خبز مشيئتنا

ونلوِّن أحلامنا في شوارع صنعاء..

هل تذكُرينَ!!

عبرنا حدودَ الصداقةِ في لحظةٍ

وانتقلنا إلى جنةٍ عرضها مثل شوقِ المرايا إلينا،

وما زال يسألكِ البُنُّ عن رغبتي فيه

عن رغبتي فيكِ

عن رغبتي في احتساء الجنون..

هنا صنمانِ

يكادان أن يستجيبا إذا دُعيا..

هل تذكَّرتِ!!

كنا نصلِّي

وكانت تؤمِّنُ كلُّ الزوايا..

سأدنو لكي تستجيب السماواتُ أدعيتي،

إنني ساجدٌ،

تلك تسبيحتي ولساني التي لا تكفُّ

وهذي يدي تتهجَّاكِ

ترقيك من كلِّ حُمَّى وكلِّ حُميَّا،

سيسألني الله عن وجعي كيف عاقرتُه،

عن أصابعي المتخمات بذاكرةٍ ليس تنسى.

كل شيء تلامسه شفتاها يطير

ما الذي سوف نبقيه للعقل والمنطق المتبعثر بين جنون يدينا

لتبرير هذا اللقاءِ

الذي ليس تحويه أسطورةٌ

أو كتابٌ تحرَّرَ من سطوة العقل والنقل،

سيدتي:

كيف تُلغين كلَّ النواميسِ

كيف تقولين للَّيلِ كنْ فيكونُ،

أنا حطبٌ

أيقظ الله هجعته

فجرى في شراييِنه الماءُ والنارُ..

ها أنا ذا صرتُ أسكرُ بالبُنِّ
أبطرُ بالخبزِ والجبنِ،
من فجرَّ الماءَ في حَجَري،
بتُّ أقرأ خطَّ الندى واضحاً
فوق سبورة الوردِ،
أشعرُ بالنمل مثل سليمانَ
أتعبُ كالغيم وهو يطوفُ السماءَ
يفتشُ عن بقعةٍ نَصَبَت لاستغاثتها رايةً
كي يراها
ويكتب فوق تشققها سيرةَ الماءِ..

يا هذه:

من سيقنعني أنني ها هُنا

ويداكِ تحيطان بي مثل أغنيةٍ

لا يجاري تقاسيمها وترٌ..

أقسمُ الآن أني أطيرُ

وأن بإمكان سبَّابتي

أن تشير إلى أيِّ شيء فيأتي طواعيةً،

أيُّ شيءٍ أنا الآن سيدتي!!

لا أصدقُ أني أنا،

أفرغيني من السحر والعطر

قولي بأني فتىً مثل كلِّ البشرْ.

أنا الآن بين يديكِ شفيفٌ كقنديلِ بحرٍ
أعوذ بحلمكِ من كلِّ صحوٍ
فلا توقظيني
دعيني أنَمْ،
أنت كهفي.....
أُلاحظُ أن الـ (أنا) قد تبدَّت بكلِّ القصيدةِ!!
معذرةً
كان يجدرُ بي أن أقول هنا: نحن كهفٌ لنا
فكلانا أنا،
قد تجلَّيتِ لي فرأيتُ بكلِّ مراياكِ ذاتي،
سأعترفُ الآن
أني برجليكِ أمشي،
وأني أقبِّلُ كلَّ صباحٍ يديَّ،
وأنيَ أصحو من النوم مبتسماً لي
أقول لنفسي: صباحُكِ سُكَّرْ.

حين تستيقظين من النوم سيدتي:
هل ترين النجومَ تحفُّ سريركِ!!
هل تلمحين الندى
وهو يبكي بلوح الزجاج
لأن الستائر تمنعه أن يراكِ،
وهل تسمعين العصافير
وهي تغني
وتتلو على مسمعِ الصبحِ
سرَّ حروفِ اسمكِ المشتهى!!
حين تدمعُ عيناكِ يبتلُّ وجهي
وتعمى خُطايَ،
أعوذ بضوئكِ من كلِّ داجيةٍ داهمتني،
لديَّ سؤالٌ يؤرقني:
هل دموعكِ مالحةٌ مثلَ كلِّ البشرْ!!

سجادة العارفين

حين يملأنا الحبُّ

تمتلئ الأرضُ عدلاً

وخبزاً

ومغفرةً

وبياضاً..

فلا جور إلا الذي خبأته القلوبُ من الحقدِ،

إن السنابلَ تدري بأوجاع آكلها

فتهونُ عليها جراحُ المناجلِ وقتَ الحصاد.

أستخفُّ بكلِّ مواجع روحي

وأسري

إلى حيث ترقد كلُّ الأساطيرِ،

ليت المسيح هنا

ليراني أقلِّب كلَّ المواجع،

يا صاحبي:

ليس لي شجنٌ غير روحي

وليس لروحي سواي.

حين يملأنا الحبُّ تأتي القصائد طيِّعةً كالندى،

تتمايلُ في زهوها كسنونوةٍ

تتهرَّبُ من شجنٍ

كي يصيب خريطتها شجنٌ فوق طاقتها..

إنه الحبُّ:

مهدُ النبوءاتِ

حلمُ الشرانقِ بالضوءِ واللونِ

سجادةُ العارفينَ

وأيقونة البشر المتعبين.

وشوشات

كلُّ إِطلالة لا تكون إليك

حرامٌ عليَّ..

أنا وجعٌ أرهقته القصائدُ

آلَمَه البوحُ

سار به الأصدقاءُ

إلى غير ما وِجهةٍ..

أنتَ في قلب صنعاءَ

أغنيةٌ

وملاذٌ لأحزاننا..

أنتَ ما لا تكون المحبة إلاَّ به،

أنت فاكهة الله في الأرضِ

قل لي:

إلى أين نذهب

إن غيَّبتكَ المدائنُ

أو بعثرتكَ الدروبُ؟

إلى أين نذهب

إن أخذَتك ملائكة الله

نحو السماءْ؟..

دُمْ بخيرٍ

فإني أخاف من اليُتمِ

أخشى من الأصدقاء.

ستأتي التي سامَرَتكَ نوافذها لتضمِّد نزفَ المسافاتِ

تمسح ما خلَّفته المساءاتُ من تعبٍ في جبين القصائدِ،

تُصلح ما كسَّر الشوقُ من لُغةٍ في ارتباك الرسائلِ،

يا صاحبي:

قبلها لم يكن لحروفك

رائحةُ الوردِ

لونُ المحبةِ

طعمُ الردى

في دمِ الأغنيات..

ستأتي

ويغفو خليجٌ من العطر بينكما

وجبالٌ من الزعفران.

قيامة خارِج الفهرس

سأفكر بالموت

سأقف أمامه وجهاً لوجه،

أعزلَ إلاَّ من بعض الخيبات والذكريات

والأصدقاء الملاعين..

وسأتأمَّل القدحَ الذي سيسقيني منه جرعةً كبيرةً من الخوف،

ليس بالضرورة أن تكون هذه الجرعة مُخدِّراً كي لا أشعر بشيء..

سأموت واقفاً،

ليُدركَ أن الحياة التي سيأخذها تستحقُّ أن يحني لها هامته،

كي لا يتعامل معها على أنها غنيمة

أو واجبٌ لا بد له من القيام به.

ها هو يأخذ روحي ويصرُّها في خرقته،

وسيمضي واضعاً رمحه على كتفه كمسافر،

وقد علَّق هذه الخرقة كزوَّادةٍ على طَرَف رمحه الشهير.

سيمضي ويترك خلفه خيطاً من الدم والذكريات التي تقطرُ من زوَّادته المكتظَّة بالحسرات..

وسيبحث عن جرَّة ماء ليغسل كفَّيه بعد يومٍ شاقٍّ من الركض خلف الآمنين أمثالي..

لن أسأله إلى أين سيمضي..

أحتاج أن أذهب إلى مكانٍ لا أعرفه

كي أهربَ من الأخطاءِ اللغوية التي تحاصرني لأكثر من عشر ساعاتٍ كلَّ يوم..

أحياناً،
يجعلنا الموت قريبين ممَّن نحب..
حين تكون حياتنا شبيهة بقلم رصاص في يد طفل يكسره ليستمتع بقدرته على تدويره في المبراة.

سأفكر بالموت
كما يفكِّر تلميذ بإحراز الدرجة النهائية،
لكي يكون موتي ذا أهمية..
أكره الموت الاعتيادي
الذي لا يتركُ بياضاً في سواد عيون أحد.

عملية قيصرية

أسترجع الماضي الذي خبأتُ في أرشيفه طفولةً كانت الشقاوة أنقى طوابعها..

وكانت البراءة لوحة الغلاف الذي يضم بين دفتيه طفولتي..

لكن هذا الارشيف يعرض لي صوراً لا أعرفها،

وأشخاصاً تُنكرهم نفسي!!

فأوقن أنني مسكونٌ بذاكرةٍ أخرى

لشخصٍ تهمني معرفةُ تفاصيل حياته الدقيقة،

ابتداءً بطفولته وانتهاءً برحيله.

آهٍ لو تدري ماذا يصنع الشجن..

إنه يصرخ داخلي كسجينٍ وحيدٍ لا يجد سوطاً يتحدث إليه..

ويضطرب كصاعقةٍ تائهةٍ، تترك بصماتٍ فادحةً

رغم أنها لم تكن تلوي على شيء..

وعندما تتعدد أمامه المنافذ يختار خروجه من العين

-كعفريتٍ أحرقَته التمائم-

علَّه يجد انطفاءةً شاردةً بشلاَّلات دموعي.

إنه شجنٌ غريبٌ يبعثرني كثياب عاهرة!!

وربما جعلني أبحث عن مكنسةٍ خرافيةٍ

تجمع شتاتي في سلَّة واحدة.

بإمكان هذا الشجن أن يصنع أشياء

يستحيل تحقيقها لدى من يؤمنون بكلِّ ما يطفو على السطح،

كأن يقوم باستحضارك، رغم انطوائك في عالم غيبي..

وبإمكانه أن يجمِّدني كشجرةٍ داخل خاتمٍ من العقيق...

وربما أطفأني كأعقاب السجائر في منفضته الواسعة

التي يسميها الناس:

«مقبرة».

ها قد رحلتَ..

وتركتني كعصفورٍ يتيمٍ يتخبَّطُ في ليلٍ قارس..

وها هي الساعة تحصي كم تبقى مني...

ولكي أختصر هذه «البقية»

أقوم بمشاهدة فيلم سينمائي فارغ لقتلها،

فلن أضطر إلى إجراء عملية قيصرية

لإخراج الجنازة التي تسكنني،

كي لا نُدْفَنَ منفَصلَيْن.

ورقة من تقويم الذهول

إلى أبـــي بالتأكـيد

قلت لنا،

ونحن نمشي تحت جنازة أخيك الأصغر،

إنك ستلحق به بعد سبعة أشهر..

فجاء في الموعد الذي ضربته على نفسك،

ليقينه أن المؤمن إذا قال صَدَق!!

كانت المسافةُ بينك وبينه كأساً من القهوة..

وكان مستعجلاً إلى حد أنه لم يُمهل قهوتك حتى تبرد..

لم تخبره أن قطع العادة عداوة،

هل تركتها على يقينٍ بأنك ستجد قهوة أخرى ألذَّ منها..

أم أن الكأس الذي يحمله في يده أبردَ من قهوتك،

فأسقاك إياه اختصاراً للوقت

الذي لم يُبقِ فيه مساحة لتلويحة واحدة!!

ساعتك «الصليب» التي تعمل بنظام «الشَّدِّ»، أصيبت بالشلل..

وتقويمك الذي كنت تشتريه

-مطلع كلِّ عام هجري-

لمعرفة نجوم الزراعة ومواقيتها

لا يزال مشنوقاً يحمل تاريخ رحيلك..

من المؤكد أننا لن نستطيع الخروج من ذلك التاريخ،

إذ أننا لم نجرؤ على نتف شعرة واحدة من لحية التقويم البيضاء، حدَّ الوقار،

فبرحيلك توقف الزمن في قلوبنا.

المنزل الذي ضمَّنا ربع قرن من الحنان قمنا ببيعه،

ليأخذ كل وارثٍ حصَّته..

قاسمونا كلَّ شيءٍ سوى الذكريات.

كنا أوفر منهم حظاً:

سجادتك..

عصاك..

مسبحتك..

مصحفك..

بركاتك..

فرشاة أسنانك..

صابونتك ..

رائحتك..

كل هذه الأشياء ما زلنا نحتفظ بها

لأنها لم تدخل- ضمن اهتماماتهم المادية- في فصل التركة!!

بعد الانتهاء من بناء منزلنا الجديد قمنا بوضع صورتك على صدر مجلسه، لتكون أولَ من يدخله ويباركه..

لا أحد يعرف أن الصورة تحوي من الدفء ما يكفي لتبديد شعورنا باليُتم لألف عام..

كان وضع الصورة تبرُّكاً لا تذكُّراً..

فكيف ننساك وقبرك نابضٌ في صدورنا،

ينقرها كما ينقر الفرخُ جدارَ بيضته ليرسم له باباً للخروج!!

ورغم أن البيت لا يزال- حتى اللحظة- دون طلاء

إلاَّ أن بهاءك جعله مصبوغاً بالرضا.. باذخاً بالضياء..

كأنه واحدٌ من قصور ألف ليلة وليلة.

جاءوا للمباركة.. وفوجئوا بصورتك تضيءُ المجلس،

اكتفوا بقراءة الفاتحة فقط،

رغم اختلاف بعضهم حول إمكانية وصولها،

وتساءلوا: متى تم التقاطها؟ وفي أي استوديو تم تكبيرها؟

وكم كلَّف بروازها؟

اعتقدتُ أنهم سيعملون قرعة أيُّهم يأخذها أولاً، ليقوم بنسخها ووضعها في مجلسه..

لكنهم لم يفعلوا!!

حينها طلبتُ منك الفاتحة إلى أرواحهم،

وأنا على يقين من إمكانية وصولها.

نظارتك أصيبت بالعمى..

معطفك الشتوي أشعل في نفسه ثقاب المشيب..

أما سجادتك فقد أخفينا عنها خبر رحيلك، خشية أن تولي وجهها شطر قبلة أخرى..

هل باستطاعة الجمادات أن تموت- كما تشاء- إذا افتقدت من كان يُحرِّضها على الأنسنة؟

أم أنها وجدت في موتها ما يغنيها عن ألم البقاء بعد شهودها لرحيل الإنسان الكامل؟

ما أزالُ حافياً

أفزعُ كلَّما تذكَّرتُ أنني سأموت..

فأتمنى لو كنتُ قِطَّاً لأعيش سبع حيوات..

لكني أفزع مرة أخرى

عندما أدركُ أنني لا أمتلك شجاعة القطِّ لأموت سبع مرات..

أحزانٌ تبعثرها السنين جزافاً..

كيف يتَّسعُ لها قلبٌ في حجم تفاحة!!

أيها الموت:

ما أزال حافياً بانتظار الإشارة لدخول واديك المقدس..

سوف تأتي وقد سَحَبْتَ أعصابي كلَّها.. لتجدني مُسترخياً كالغراء،

لكن.. لا أظن أن قبراً واحداً سيتَّسع لي ولغروري..

أدري أنك لا تملكُ وقتك..

لذلك أنت مستعجلٌ- دوماً- كالبارود..

تقطع العِرْق وترحل... غير مُكترثٍ إن ساحَ دمه أم لا!!

فجدولكَ مليءٌ بالمواعيد،

إلى حدِّ أنكَ لا تجدُ وقتاً لتعقيم يديكَ بين قتيلٍ وآخر!!

عاملني كذبيحة..

وتفنَّن في ذبحي كما تشاء،

وحدَّ شفرتكَ أمامي..

لكن....

لا تذبحني أمام أمِّي كي لا تموت مرَّتين..

بإمكانك أن ترسل لي رسالة عبر صندوق بريدي

الذي لم أسدد اشتراكه حتى اللحظة..

ضع في المظروف طلقةً..

قنبلةً..

حبلَ مشنقة..

ذبحةً صدريةً..

فشلاً كلوياً..

انفلونزا الطيور..

لا فرق.. فكلها تحمل رائحتك ونكهتك،

ولستَ مضطراً لشراء طوابع بريدية

لأن الجواب يُعرف من عنوانه..

أصبح يوم الجمعة نابضاً في تقويم عمري المكتظِّ بالسَّكَرات..

هذا اليوم يُلغِّم مسجدنا بالرياحين التي تملأ أنوفنا برائحة الخوف المجَّاني،

إنها رائحة لا يدرك فحواها إلاَّ الموتى أمثالي..

للرياحين خاصيتان..

إحداهما تعطير روحي،

والأخرى تفتح في دمي مظلَّة الرعب..

لأنها الرائحة التي سترافقني حتى آخر حرفٍ من سورة «يس»،

التي سيملأها المشيِّعون بالأخطاء النحوية على قبري

وهم يدخنون السجائر،

ويتبادلون التحايا والأسئلة حول القاعة التي سيتم فيها العزاء

ليملأوها بمحاسني!!

أخبرني عن ابني الذي مرَّ على غيابه تسع عشرة طعنة..

عرفتُ من ملامحه أنكَ قد صَعَقْتَهُ بكهربائكَ

التي لا تشوبها الانقطاعات،

حينما أيقَظَتْني برودتُه من نومي وهو بجانبي كدجاجةٍ مجمَّدة!!

تجمَّد فيه كلُّ شيء عدا ابتسامته..

كنتُ أقبّله بحرارةٍ شديدةٍ

تكفي لإعادة روحه إلى جسده المتصلِّب كشراييني المكتظة بأعقاب السجائر

التي أطفئها في قلبي..

أنا مُمتنٌّ لك أيها الموت

لأنكَ لم توقظني لأشاهدكَ وأنتَ تلوِي عنقَه الصغير بيديكَ القاسيتين..

وكنتُ سأمتنُّ أكثر لو أخذتني معه،

كي لا يعيش يتيماً في قبره..

لكنك تركتني سجين ضحكته الطليقة التي تسري في دمي كسمكة..

من يومها.. لم أعد أصدِّق أن جنَّة الأطفال منازلهم.

أَوْهَنُ مِنْ قَلْبِ العنكبوت

ليس لديَّ شهادة ميلاد..

ربما لأنني لا أريدُ أن أعترف لنفسي بذلك..

كلُّ ما أعرفهُ بضعةُ أسطُرٍ كتبَها أبي في دَقَّةِ مُصحفه،

ليقينه أنَّ المصحف أضمن مكانٍ لحفظ حياتي..

وما جدوى أن أعرف كم بلغتُ من العُمر

وأنتَ- كُلَّ مساءٍ- تضعُ يوماً من عُمري في حصَّالتك!!

ها أنا ذا أراكَ في كُلِّ شارعٍ كَصُوَرِ المرشَّحين..

تُلاحقني في كُلِّ مكانٍ أذهبُ إليه كرسائل الموبايل،

التي تُلاحقنا حتَّى ونحنُ خارج نطاق التغطية.

أنتَ أسرعُ من دعوةٍ مُستجابة،

وأفتَكُ من سيَّارةٍ مُفخَّخة..

وأنا أبطأُ من الإصلاحات الاقتصادية،

وأوهنُ من قلب العنكبوت.

أعرفُ أنَّكَ تهتمُّ بي كثيراً،

وأُقدِّرُ لكَ هذا الاهتمام المبكِّر منذُ سُقوط أوَّل أسنان الحليب..

كنا نُحاربكَ بتعويذةٍ طفوليةٍ تعكس نقاء السريرة.. والسرير أيضاً،

ونحنُ نُتمتمُ ونُطأطئُ رؤوسنا في خشوعٍ يضحكُ منه الحمار

حين نطلب من الشمس مُقايضتنا بسنِّ غزال.

كُنتَ تذهبُ إلى (مصنع الغزل والنسيج)، كلَّ يومٍ، لتتفقدَّ أكفاننا..
أين تذهب الآن بعد أن تمَّ إغلاق المصنع؟!!

أحسُّ بكَ مسجوناً في أسطوانة الغاز،
تنتظر أدنى إشارةٍ من عُود ثقابٍ غادر..
لهذا أنامُ دُون عشاء.

أراكَ تتنكَّر في الصابونة، كلَّما سقطَتْ من يدي وأنا أغتسل،
مُستغلاً امتلاءَ عينيَّ بالصابون،
وانقطاعَ الماء الذي سيضطرُّنا ذات يومٍ إلى إقامة صلاة الاستسقاء
أمام وزارة المياه.

كلَّما مات شخصٌ يتصدَّر قائمة الأفضلية،

وتنطلق الإشادات، المتأخِّرة جداً،

بأنه كان الأفضل في أُسرته وبين أصدقائه،

ولا مكان للأنقياء في هذا الزمن!!

فأطمئنُّ على نفسي كلَّما سمعتُهم يقولون: «ما يسير إلاَّ الجِيْدْ»..

أقسمُ لكَ أنَّني لستُ «جِيْدْ»، فهل تُصدِّقني؟

مليءٌ بالفراغ

إلى أبي

كنت أشعر بوحشتكَ، رغم كثرة المشيّعين

وهم يهتفون بصوت واحد:

«لا إله إلاَّ الله.. لا يدوم إلاَّ الله»،

وكأنهم يحاولون إيقاظك بهتافهم المرتفع..

إلى ذلك اليوم لم أكن أدري أن الأجر يُنتَزعُ انتزاعاً،

فقد سمعتُ أحدهم يُهدِّدُ صاحبه قائلاً:

«سلِّم الأجر»!!

ربما كان أمراً منطقياً أن ترسل إحدى الأمهات ابنها

-بعد أن أشعل قلبها شيباً بحماقاته-

ليشارك في تشييع جنازتك..

وهي على يقين أنه سيعود إليها بأخلاق أخرى وصفات أسمى بعد أن ينال من بركاتك..

لكن الغريب أن أُمَّاً أوصت ابنها أن يسرق قبضةً من تراب قبرك!!

لا أدري لماذا..

غير أنها كافأته نظير ذلك بـ«٥٠» ريالاً..

لم يكن الماء الذي غسلوك به أكثر حرارة من دموعنا..

لكنهم أصدروا فتوى بعدم جواز تغسيل الميت بالماء المالح.

ما تزال عصاك تصحو من غفوتها

عند انطلاق التسبيحة الأولى من حلوق المآذن المتعبة..

كم تتمنى أن تنكسر عند شعورها بغياب يدك المبلَّلة بماء الفجر البارد،

فتعود إلى غفوتها لأنها لم تجد أحداً منا يأخذ بيدها إلى المكان الذي اعتادت

أن تذهب إليه..

لم أتردَّد في أخذ قلمك الأسود لأكتب به قصيدة أرثيك بها..

قبل أن أشرع في الكتابة كان قميصي قد اصطبغ بنقطةٍ سوداءَ كبيرة،

كأنها هدفٌ يحدد للطلقة مكان القلب..

ربما أن القلم أنكر جيبي المليء بالفراغ، فبكى عليك..

وربما أنه انتحر قبل أن يقترف حرفاً في رثائك!!

أشجار الرمَّان التي كانت تحظى بدفء يديك قد اعتراها الذبول،

رغم أننا نسقيها أكثر مما كنت تسقيها أنت..

ونأتي في اليوم التالي لنجد الماء مكانه..

وكأنها أعلنت الصيام إلى أن يتم تحقيق مطالبها بعودتك

التي ستكون أشبه بـ «وافطروا لرؤيته»...

هل ذبلت لأنها لم تجد في أيدينا تلك المصداقية التي كانت تنعم بها وتنهل منها..

أم أنها تؤمن بالأسطورة التي تقول بموت الشجرة إذا افتقدت راعيها؟

وبرغم امتلاء مزرعتنا بعناقيد العنب التي كانت تبتكرها الطيور

إلاَّ أنكَ رفضتَ فكرة «الفزَّاعات»،

لأنك لا تحب الكذب على العصافير..

ذات ليلة تائهة بين أروقة الموت

قرأت في صحيفة "أخبار الحوادث" أن رجلاً لبث في قبره بضعة أشهر،

ولمَّا تمكَّن الشوق منه استطاع الخروج بطريقة ما..

كان يعود قبل أن يتحدث عنه الصباح وينتبه حارس المقبرة لغيابه..

منذ ذلك اليوم وأنا أحتفظ بالصحيفة،

منتظراً موت أحد الأقارب لأتمكن من إرسالها إليك لتقرأ هذا الخبر..

جنازة مؤجَّلة

لكي أفقد العالم عليَّ إغماض عينيَّ للحظات أراكَ فيها..

لكن عندما أفتقدكَ سأفتحُ عينيَّ وأصلِّي على العالم صلاة الجنازة.

ربما أنني بحاجة إلى طبيب،

لأنني لم أعد أشعر بالوقت إلاَّ عندما تلدغني عقارب الساعة السليمانية..

لا أدري منذ متى وأنا وحدي..

ها أنا ذا أعيش الحياة التي يعيشها رجل يحتضر منذ سنوات..

أسأل أين أنا كلما استيقظت!!

وكلما بحثتُ عن نفسي لأتحدث إليها قليلاً

أراني محاصراً بأطباء ملثمين

كاللصوص تماماً،

وبأيديهم كلُّ أدوات الجراحة

التي تسرق كلَّ ذكرى لذيذة..

كلُّ هذا يحدث

مع أنني لا أعاني من شيء

سوى غيابك!!

عبثاً يحاولون حقن أرواحنا بمصل النسيان..

لكن..

إياكَ أن تخبرهم أننا عاجزون

عن دفع فواتير التخاطر

حتى لو بعنا عجائب الدنيا السبع.

لو علموا أن ذاكرتي لم تعد تكفي

لاحتواء كلِّ ما يحاولون إتلافه بعقاقيرهم

لوقفوا كما تقف الدودة الصغيرة

أمام تفاحة، تريد ابتلاعها دفعة واحدة،

فتموت كمداً!!

هذا المساء

يأتي رطباً..

محمَّلاً بأنفاس الموتى المتعبة

فألهث وحدي حتى مطلع القبر،

ثم أفزع خائر القوى

مهنئاً بهذه الرحلة.

مسامات فقط

المسامات التي في أغوار الحلق..
المسامات الغارقة في بحور اللعاب،
المسامات التي تشبه الأخاديد حين تنفتح لنقل المذاق
وتنغلق، قَرَفاً، حين مرور الطعام،
المسامات التي تحاول أن تنتحر بأكبر كمية من اللعاب
حين يخطر في بالها رائحة الفلفل الحار..
أراها جيداً
كما لو أنني أشاهد فيلماً علمياً،
هذه المسامات تكبر في نظري
لا لكثرة احترامها..
فالعدسة التي أخبئها في عيني
تجعل كلَّ شيء كبيراً رغم تفاهته..

اللعاب لم يعد صالحاً للاستمناء،

لم يعد مناسباً لجلب المحبة،

توقف العرسان عن خلط العصير باللعاب..

أصحاب الرقية الشرعية

ما زالوا يبصقون في وجوه المرضى

وهم يقولون "بسم الله أرقيك"!!

البصاق احتقار ومحبة،

واللعاب ذخيرة لا تنفد..

ما زلنا نستمتع بلعق طوابع البريد، رغم أننا نبصقها فوراً..

المسامات التي في أقاصي الحلق
تشبه عمَّال المناجم،
لا.. ليس تماماً..
تشبه أولئك الذين يلقون بالفحم إلى بطن الباخرة المشتعل..
المسامات تموت حين تكون مرتبكة،
لذلك نغرقها بالماء
محاولين إنعاشها حين نشعر بالعطش..

المسامات تتوقف لتعدَّ بعضها
كطفلٍ يعدُّ قناديل الزينة في بيت الفرح..

ما يشبه السيرة

- عبدالمجيد محمد أحمد التركي
- شاعر وكاتب وصحفي
- مواليد ١٩٧٦م اليمن – صنعاء
- يعمل مُصححاً لغوياً بصحيفة الثورة الرسمية
- يعمل مشرفاً لملحق "اليمن اليوم الثقافي"
- صدر له عام ٢٠٠٤م عن وزارة الثقافة ديوان شعري بعنوان (اعترافات مائية).
- صدر له مجموعة شعرية بعنوان (هكذا أنا) عن مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر ٢٠١٥م.
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.
- شارك في العديد من المهرجانات العربية والدولية.
- له مجموعة شعرية مُعدَّة للطبع.